علاقة مصدر الضبط بكل من اليأس
لدى العائدين إلى الجريمة

د. نور الدين جبالي - أ. إبراهيم بوزيد- جامعة باتنة

مقدمة:

يعد سلوك الفرد مناط التكليف بالنسبة إليه، والصورة النهائية التي تعكس شخصيته وتعبر عن تفكيره، هذان البعدان (الشخصي، والمعرفي) نتاج تفاعل عاملين مختلفين. عامل الوراثة والتعلم، كما يشكل التعلم أكبر شق في عملية اكتساب السلوك، والحافز الأساسي في ذلك، ونظرا لأهمية التعلم في اكتساب السلوك، قام روتر (Rotter) بإجراء مقاربة نفس اجتماعية محاولا بذلك تفسير السلوك انطلاقا من مفهوم التعلم الاجتماعي، فصاغ نظريته الشهيرة المعروفة بنظرية التعلم الاجتماعي التي تعد حصنا جامعا لمجموعة من المفاهيم النظرية منها المعرفية (التوقع)، الدافعية (قيمة التعزيز)، الموقفية (الموقف النفسي)، والسلوكية (السلوك الذي يتعلمه الفرد)، تتراوح عملية التعلم الاجتماعي بين هذه الأبعاد المختلفة والتي تحدد بدورها طبيعة السلوك المكتسب وتخلق لدى الفرد اعتقادا في مصدر التعزيز ومدى قدرته على إدارة سلوكاته والتحكم فيها وفقا لما يضمن المكافأة والتعزيز، ونتج عن الاختلاف في الأبعاد (البيئي، المعرفي، الدافعي) فروقا فردية في الاعتقاد في وجهة الضبط، فحسب روتر (Rotter)، هناك أصحاب الضبط الداخلي وأصحاب الضبط الخارجي، فأصحاب الضبط الداخلي هم الذين يعزون كل أفعالهم وتصرفاتهم لذواتهم، ويعتقدون في قدرتهم على إدارة هذه السلوكات والتحكم فيها، في حين أن أصحاب الضبط الخارجي هم الذين يعزون كل أفعالهم وتصرفاتهم إلى تأثير البيئة الخارجية، ولا يعتقدون في مدى قدرتهم على إدارة هذه السلوكات وتوجيهها وفق ما يحقق لهم التعزيز والمكافأة، فهؤلاء الأشخاص لا يعتقدون بقدرتهم على تغيير ذواتهم (سلوكاتهم) والواقع أو الأحداث من حولهم، فهم يرون أن سلوكاتهم تحكمها الحتمية البيئية بعواملها الخارجية كالصدفة والحظ وتأثير الآخرين الأقوياء. هذه الفروق تظهر كذلك على مستوى التصور (تصور الحاضر، المستقبل، الحياة بصفة عامة)، وينعكس هذا التصور في اعتقاد الفرد بمدى نجاعة تصرفاته وفعالية إجراءاته المتخذة من أجل تغيير بيئته وتكييفها وفق

ما يخدم طموحه ويحقق أهدافه، وبحسب طبيعة التصور السائد، الناس صنفان، صنف ذا نظرة متفائلة إيجابية لحاضره ومستقبله وللحياة ككل، يؤمن بفعاليته الذاتية وقدرته على التغيير (تغيير واقعه، وسلوكه)، وصنف متشائم يائس، يشعر بالعجز وعدم فعاليته الذاتية أمام ضغوط الحياة.

واليأس هو اتخاذ الفرد اتجاهات سلبية نحو حاضره ومستقبله بشكل يفقده الأمل والرجاء، ويقعده عن بذل الجهد اللازم لتحقيق أهدافه الحالية، وطموحاته المستقبلية (في عماد محمد مخيمر، 2003، ص 632)، فالحاضر مليء بالضغوطات والمعوقات التي تحول دون الإشباع (إشباع الحاجات)، والمستقبل غامض ومجهول، ونحن الآن أمام متغيرين أساسيين يعكسان انطباع الفرد نحو حياته وسلوكاته، ولذلك رأينا أنه من الضروري دراسة العلاقة الممكنة القيام بين وجهة الضبط واليأس لدى عينة خاصة وهي عينة العائدين إلى الجريمة.

1. إشكالية الدراسة:

يختلف الأفراد في أنماطهم وسماتهم الشخصية، هذا الاختلاف نجم عنه اختلافات في البنية والتصور الشخصي، فكل شخص يتميز بشخصية مستقلة عن غيره، وبأسلوب خاص يسعى من خلاله إلى تحقيق ذاته داخل بيئته التي تميزها جملة من الأحداث المتباينة من حيث درجة تأثيرها على سلوكاته واتجاهاته، فلكل تعليلاته وتفسيراته للمواقف الاجتماعية ولسلوكاته أيضا. فنجد من الأفراد من يعزو جميع أفعاله إلى ذاته ويتحمل مسؤولية توجيه الأحداث والتحكم في النتائج (أصحاب الضبط الداخلي)، ومنهم من يعزو أفعاله ونتائج سلوكاته وكل الأحداث إلى البيئة الخارجية (أصحاب الضبط الخارجي). وقد برز مفهوم الضبط الداخلي، الخارجي Internal external، من نظرية التعلم الاجتماعي التي صاغها روتر (Rotter) العام 1954، وقد شاع استخدام هذا المفهوم في الدراسات العربية والأجنبية باسم موضع الضبط (Locus of control)، على يد مجموعة من الباحثين العرب والغرب أمثال صلاح الدين أبو ناهية، بارتال، شاو، آهل...

ويبقى السلوك هو الحلقة التي تدور حولها جميع الدراسات النفسية ومعيار الحكم الاجتماعي على الفرد، فقد يسلك الفرد سلوكا معينا فيحكم عليه بالشذوذ والتجريم في حين أنه قد يسلك سلوكا آخر ويحكم عليه بالاستقامة والسواء، ولا

يخفى علينا اليوم ما ينتشر في مجتمعنا من سلوكات شاذة وما تمخض عن هذه السلوكات من جرائم متعددة (اقتصادية، سياسية، اجتماعية....) من فعل الفرد أو الجماعة، والجريمة هي سلوك مدمر للذات (ذات مجرم)، وللحياة (حياة المجرم الاجتماعية والاقتصادية)، فقد يحترف الفرد الجرم ويتعود على الجريمة فيصبح عائدا. وأكثر من ذلك تصبح الجريمة بالنسبة للفرد أداة للتواصل مع المحيط، وكتعبير مباشر عن نزعاته واتجاهاته داخل مجتمعه، كل هذه السلوكات المرفوضة اجتماعيا تلقى صدّا وتهميشا وتصنيفا لصاحبها في خانة الشواذ، قد تخلق لدى الفرد شعورا بالعجز عن تغيير سلوكه ويبدو عليه اليأس.

ونظرا لأهمية موضوع وجهة الضبط وما له من دور في بناء الاستجابة وتعديل السلوك حاولنا تناوله من زاوية نستطيع القول على حسب ما أمكننا الاطلاع عليه لم تحظ باهتمام كبير من طرف الباحثين، والمتمثلة في "علاقة وجهة الضبط باليأس لدى عينة من العائدين إلى الجريمة" انطلاقا من التساؤلات الآتية:

تساؤلات البحث:

- ما هي وجهة الضبط السائدة لدى العائدين إلى الجريمة؟
- هل يتمتع العائدون إلى الجريمة بدرجة عالية من اليأس؟

هل توجد علاقة بين وجهة الضبط واليأس لدى العائدين إلى الجريمة؟

2. **أهمية الدراسة:** لهذه الدراسة أهمية نظرية و أخرى تطبيقية:

1.2. **الأهمية النظرية:** على حسب اطلاع الباحث أو في حدود معرفته، لم يحظ هذا الموضوع "العلاقة بين وجهة الضبط واليأس لدى عيّنة من العائدين إلى الجريمة" "عيّنة جزائرية"، باهتمام الباحثين وهذا ما قد يساهم في إضافة الجديد للميراث العلمي ويزوّد الباحثين والمطلعين بمعلومات جديدة يستفيدون منها في دراساتهم والتي ستكون كمحرك لبحوث جديدة.

2.2. **الأهمية التطبيقية:** تكمن الأهمية التطبيقية في الاستفادة من نتائج البحث في مجال إدماج المساجين من خلال معرفة خاصيتين سيكولوجيتين (وجهة الضبط، اليأس) اللتين يستفاد منهما في مجال تعديل سلوك العائد.

3. أهداف الدراسة:

بما أن إشكالية البحث تدور حول العلاقة الممكنة القيام بين وجهة الضبط واليأس لدى عيّنة من العائدين إلى الجريمة، فإن أهداف البحث يمكن تحديدها فيما يلي:

1 – الكشف عن الوجهة السائدة لدى العائدين.

2 – الكشف عن الدرجات المتحصل عليها من طرف أفراد العيّنة على مقياس اليأس ومعرفة ما إن كانت مرتفعة أو منخفضة.

3 – الكشف عن العلاقة الممكنة القيام بين وجهة الضبط والدرجة المتحصل عليها على مقياس اليأس لدى عيّنة العائدين إلى الجريمة.

4. المفاهيم الإجرائية:

1.4. وجهة الضبط الخارجية: يعرّف روتر مفهوم الضبط الخارجي بأنه عندما يدرك الفرد التعزيز بعد أدائه العديد من الأفعال، ويعتقد بأن هذا التعزيز لا يتوقف على أدائه كلّية، بل إنه نتيجة للحظ أو الصدفة أو القدر، وتحت هيمنـــة الآخرين الأقوياء، أو شيء غير متوقع بسبب أن هناك تعقيدات من القوى التي تحيط به.

2.4. وجهة الضبط الداخلية: هو اعتقاد أو إدراك الفرد بأن وقوع الحدث (نتائج السلوك) متوقف على سلوكه أو خصائصه[1].

فالعائد إلى الجريمة، إن كان يعتقد في الضبط الخارجي، فذلك يجعله يعزي كل أفعاله وتصرفاته إلى العالم الخارجي الخارج عن تحكمه، في حين أنه إذا كان اعتقاده داخليا فذلك يجعله يعزي كل أفعاله وتصرفاته إلى ذاته فيتحمل مسؤولية أفعاله.

3.4. اليأس: إن اليأس هو شعور الفرد بعدم إمكانية الحصول على ما يريد وصعوبة الوصول إلى الهدف بسبب ما يدركه من عوائق وصعوبات تحول دون ذلك[2].

فقد يشعر العائد إلى الجريمة بعدم فعالية ذاته وعدم قدرته على الحصول على ما يريد وما يسعى لتحقيقه من إشباعات لحاجاته، وذلك بسبب ما يدركه من صعوبات تحول دون ذلك.

4.4. العود للجريمة: العود هو حالة الشخص الذي يعود إلى ارتكاب نفس الجريمة أو جرائم مماثلة لها بعد الحكم عليه نهائيا[3]، العائد إلى الجريمة يكرر جرمه وهو لا يعتقد في قدرته على تغيير سلوكه الشاذ، فسلوكه تحكمه الحتمية الخارجية.

5. أهم الدراسات السابقة:

نظرا للأهمية البالغة التي تميز بها موضوع وجهة الضبط فقد حظي باهتمام مجموعة من الباحثين الذين تناولوه مع متغيرات مختلفة وعند عينات متنوعة وسنعرض الآن أهم الدراسات التي تناولت هذا المتغير.

1.5. وجهة الضبط والسلوك العدواني: العدوان هو سلوك مدمر للذات (العدوانية ضد الذات)، أو للغير وهو سلوك ينبغي توخيه والحذر ممن يتصف به، وفي هذا الصدد، حاول مجموعة من الباحثين إثبات العلاقة بين وجهة الضبط والعدوان أمثال **وليامز وفانترس** Williams and vanters 1969 واللذان أجريا دراسة على عينة تكونت من 114 طالبا، و211 طالبة من طلاب الجامعة المتطوعية، طبقا مقياس روتر Rotter (I.E.Scale)، وقائمة العدوان **لبص – دركي** Buss Durkee، توصلت نتائج الدراسة إلى أن معامل الارتباط بين موضع الضبط الخارجي والعدوان بلغ 0.27، وهو معامل ارتباط مرتفع دالا إحصائيا، وقد استخلص الباحثان أن العدوانية هي أكثر انتشارا عند أصحاب الضبط الخارجي على غرار أصحاب الضبط الداخلي[4].

2.5. وجهة الضبط والجنوح: الجريمة لا تمس بأضرارها وعواملها الراشد بل تتعدى لتجرف غير الراشدين فتحولهم إلى مجرمين مبكرا فينعتون بالجانحين و"الجانح هو ذلك الفرد الذي ارتكب أكثر من جريمة وتم إيداعه بإحدى المؤسسات بحكم قضائي"[5]. وفي هذا المجال "مجال الجنوح" حاول الباحث **جمال السيد تفاحة** إجراء دراسة حول أبعاد وجهة الضبط لدى المراهقين الجانحين والأسوياء وقد أسفرت نتائج الدراسة على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجانحين

والأسوياء على مقياس الضبط الشخصي وأحد أبعاده وهو ضبط العالم العادل وذلك لصالح الجانحين، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجانحين والأسوياء على مقياس ضبط الآخرين الأقوياء وكذلك مقياس ضبط الحظ ومقياس الضبط عند الجانحين يبنى على أربعة عوامل بالنسبة للجانحين هي: ضبط العجز، ضبط العالم العادل مقابل العجز، ضبط التمكن مقابل الفرصة، الضبط العام، في حين يبنى مقياس الضبط لدى الأسوياء على أربعة عوامل أخرى هي: ضبط الفرصة، ضبط العالم الصعب مقابل التمكن، الضبط السياسي، الضبط العام، ضبط العالم العادل مقابل النفوذ، وبفحص هذه العوامل تبين أن الجانحين تميزوا بارتفاع الضبط الشخصي عن الأسوياء، كما خلصت الدراسة إلى أن وجهة الضبط يختلف باختلاف العوامل اللاشعورية والديناميات الفعالة في شخصية الفرد. حيث وجد أن بعض العوامل اللاشعورية والديناميات الفعالة المرتبطة بالضبط الشخصي تختلف إلى حد ما عن مثيلتها المرتبطة بضبط الآخرين الأقوياء أو ضبط الحظ، كما تختلف عند الجانح منها عند السوي ومن ذلك يمكن أن نقول بأن وجهة الضبط من العوامل التي تدخل بدورهـــا لتكون وراء ظاهرة الجنوح[6].

3.5. **وجهة الضبط والسيكوباتية:** إن السيكوباتي هو فرد متمرد على الواقع رافض لقيم مجتمعه ساخطا على قواعده، وغالبا ما تجد تاريخ السيكوباتي حافلاً بالجرائم والسلوكات المضادة للمجتمع، والتي تتصف بالتعدد والتنوع في الجرائم الأخلاقية، والجرائم المتعلقة بالتعدي على حقوق الغير كالسرقة وجرائم الضرب والجرح...، يشير ايزنك إلى أن الأشخاص الذين يعجزون عن تكوين الاستجابات الشرطية الأخلاقية والاجتماعية بسبب ضعف قدرتهم على التشريط وتطرفهم في الانبساط والعصابية يميلون إلى أن يصبحوا مجرمين وسيكوباتيين، فضعف قدرتهم على التشريط تجعل من الصعب عليهم تعلم القيم والقواعد الاجتماعية التي يقبلها المجتمع، وإذا تعلموا قليلا منها سرعان ما تتلاشى لأنهم يملكون قدرة قوية على الانطفاء "و يرى **روتر** أن تعلم هذه القيم والقواعد الاجتماعية يتم في بيئة لها معنى بالنسبة للفرد".

وقد تم البحث في السلوك السيكوباتي وعلاقته بمجموعة من المتغيرات النفسية منها وجهة الضبط فقد قام **بوكهويسين وآخرين** Bukhuisen et al 1983 باختبار نظريات الحرمان الاجتماعي على عينة مكونة من 82 طالبا جامعيا من الذكور،

وبعد الكشف عن أسباب السلوك المنحرف لهؤلاء الطلبة أثناء مرحلة الطفولة وانغماسهم في النشاطات الإجرامية عن طريق تطبيق التمايز السيمانيتي بقياس البيئة الوالدية فقاموا بتطبيق مقياس وجهة الضبط لروتر، ومقياس العدوانية ومقياس ضبط الذات، ومتاهة حلزونية لقياس الاندفاعية وبالإضافة إلى ذلك أمكن تسجيل التموجات التلقائية للجلد عن طريق استخدام جهاز **باسال** Basal للتوصيل الجلدي ودقات القلب.

أثبتت النتائج أن أفراد العينة الأكثر استغراقا في النشاطات الإجرامية والسلوك المنحرف يحصلون على درجات مرتفعة من العدائية، والاندفاع، والاعتقاد في الضبط الخارجي، كما تبين أنهم ينتمون إلى أسر متدهورة[7].

4.5. اليأس والإدمان: قامت مايسة أحمد النيال بدراسة لبعض المتغيرات الوجدانية لدى بعض فئات الاعتماد العقاقيرى من ريف مصر وحضرها على عينة مكونة من 131 معتمدًا عقاقيريا، وقد قسمت هذه العينة إلى قسمين هما:

1. عينة الحضر: مكونة من91 معتمدًا عقاقيريا، بواقع 31 حالة من معتمدي الهيروين، 30 حالة من معتمدي الحشيش، 30 حالة من معتمدي الأمقيتامينات، وتراوحت أعمار عينة الريف بين 19 و44 سنة.

2. عينة الريف: عدد أفرادها 40 معتمدًا بواقع 3 حالات من معتمدي الهيروين، 12 حالة من معتمدي الحشيش، 25 حالة من معتمدي الأمقيتامينات، وقد تراوحت أعمار عينة الريف بين 19 و49 سنة.

طبقت على أفراد العينتين 4 مقاييس، منها مقياس دافعية التغير، مقياس الشعور باليأس، مقياس الشعور بالعجز، مقياس الاتجاه نحو العقاقير، ففيما يخص متغير اليأس، فقد أسفرت النتائج على أن الشعور باليأس يزداد عند معتمدي الهيروين مقارنة لمعتمدي الحشيش والأمقيتامينات.

وأثبتت دراسة فاروق عبد السلام (1977) أن معتمدي الهيروين تشيع لديهم مشاعر عدم الأمن الانفعالي والاكتئاب بما يحمله من معاني اليأس، كما أثبتت دراسة محمد غانم (1998) أن معتمدي العقاقير يتسمون بالاكتئاب واليأس[8].

6. فرضيات الدراسة:

– يتمتع العائدون إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية.

– يتمتع العائدون إلى الجريمة بدرجة عالية على مقياس اليأس.

– نتوقع وجود علاقة ارتباط موجبة دالّة إحصائيا بين وجهة الضبط واليأس لدى العائدين إلى الجريمة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

1 – عينة الدراسة وكيفية اختيارها.

2 – أدوات الدراسة.

1. عينة الدراسة: تكونت عينة البحث من 36 عائدا راشدا، تراوحت أعمارهم بين 21–40 سنة، وهي عينة تم اختيارها بطريقة قصدية من إحدى مؤسسات إعادة التربية والتأهيل.

2. أدوات الدراسة: لقد اشتمل البحث على متغيرين أساسيين هما: وجهة الضبط، واليأس لدى عينة من العائدين إلى الجريمة من جنسية جزائرية، وقد اختار لذلك الباحث مقياسين هما: مقياس وجهة الضبط لروتر (Rotter)، مقياس اليأس لبيك (Beck).

– مقياس وجهة الضبط:

– مقياس بيك (Beck) لليأس: (Hoplessness)

عرض ومناقشة نتائج الدراسة

1. عرض نتائج الفرضية الأولى.
2. عرض نتائج الفرضية الثانية.
3. عرض نتائج الفرضية الثالثة.

1. عرض نتائج الفرضية الأولى:

– يتمتع العائدون إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية.

باستخدام اختبار –ت– لحساب الفروق بين المفحوصين على اختبار وجهة الضبط، بدرجة افتراضية 11 تبيّنت لنا النتائج الآتية:

الجدول رقم 3: يمثل الفروق بين أفراد العينة في وجهة الضبط.

وجهة الضبط	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة –ت–	الدلالة
	12.61	2.01	4.49	0.001

يتبين من خلال الجدول أنه توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.001 بين متوسط درجات أفراد العينة والمتوسط الافتراضي أو الدرجة الافتراضية 11، فمتوسط العينة 12.61 فاق المتوسط الافتراضي، وهذا ما يدل على أن أفراد العينة يتمتعون بضبط خارجي فعلا وهو ما يعكس تحقق الفرضية الأولى.

2. عرض نتائج الفرضية الثانية:

– يتمتع العائدون إلى الجريمة بدرجة عالية على مقياس اليأس.

باستخدام اختبار –ت– لحساب الفروق بين المفحوصين (أفراد العينة)، على اختبار اليأس لبيك (Beck) بدرجة افتراضية أو متوسط فرضي 10 تبينت لنا النتائج الآتية:

الجدول رقم 4: يمثل الفروق بين أفراد العينة في درجة اليأس.

اليأس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة –ت–	الدلالة
	9.00	7.73	0.77	غير دالة

يتبين من خلال الجدول أنه توجد فروق غير دالة إحصائيا بين متوسط درجات أفراد العينة 9.00 والمتوسط الفرضي 10.00 فالمتوسط الفرضي فاق متوسط أفراد العينة، وهذا يعني عدم تمتع أفراد العينة بدرجة عالية على مقياس اليأس، وهو ما يعكس عدم تحقق الفرضية الثانية.

3. عرض نتائج الفرضية الثالثة:

– نتوقع وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين وجهة الضبط واليأس لدى عينة العائدين.

باستخدام معادلة بيرسون لحساب معامل الارتباط بين اليأس ووجهة الضبط، بلغ معامل الارتباط 0.28 وهو غير دال إحصائيا وهو ما يعني عدم وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين وجهة الضبط واليأس لدى عينة الدراسة (عينة العائدين)، وهذا ما يعكس عدم تحقق الفرضية الثالثة.

مناقشة النتائج

1. مناقشة نتائج الفرضية الأولى
2. مناقشة نتائج الفرضية الثانية
3. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة

1. مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى: يتمتع العائدون إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية.

لقد أثبتت نتائج البحث الموضحة والمبينة في الجدول رقم –3– أن أفراد عينة البحث "العائدون إلى الجريمة" يتمتعون فعلا بوجهة ضبط خارجية، وهذا ما يتفق مع نتائج الدراسات السابقة التي أثبتت وجود علاقة بين وجهة الضبط الخارجية ومجموعة من السلوكات الشاذة مثل دراسة وليامز وفانترس (Williams & Vanters 1969) التي حاولا من خلالها دراسة العلاقة بين وجهة الضبط والعدوان، بحيث توصلت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية بين وجهة الضبط الخارجية والعدوان، أي أن العدوان هو أكثر انتشارا عند ذوي الضبط الخارجي[9].

وأثبتت الدراسة التي أجراها بول هويسين وآخرين (Bukhuisen et al 1983) على عينة من المجرمين أن أفراد هذه العينة يحصلون على درجات مرتفعة من العدائية والاندفاع والاعتقاد في الضبط الخارجي، وهذا يعني أن السيكوباتيين هم أكثر ميلا للاعتقاد في الضبط الخارجي، وعينة العائدين إلى الجريمة هي عينة سيكوباتية تتمتع هي الأخرى بوجهة ضبط خارجية وهو ما يثبت صحة الفرض الذي انطلقنا منه في دراستنا هذه والذي ادعينا من خلاله تمتع العائدين إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية.

كما يمكن اعتبار الوجهة الخارجية أو الاعتقاد في الضبط الخارجي عاملا من العوامل المشجعة على العود إلى الجريمة، فتمتع العائدين إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية وإعزائهم لأسباب أفعالهم إلى عوامل خارجية يجعلهم لا يتحملون مسؤولية أفعالهم، ولا يرغبون في تغيير سلوكاتهم.

2. مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية: يتمتع العائدون إلى الجريمة بدرجة عالية على مقياس اليأس.

لقد أثبتت نتائج البحث الموضحة والمبينة في الجدول رقم –4– أن أفراد عينة البحث "العائدون إلى الجريمة" لا يتمتعون بدرجة عالية على مقياس اليأس، وهو لا يتفق مع نتائج الدراسات السابقة كدراسة نادية الحسيني التي حاولت من خلالها تأكيد العلاقة الارتباطية بين وجهة الضبط والاكتئاب، وقد أجرت هذه الدراسة على عينة قوامها 279 طالبا وطالبة من الصف الأول والثاني والثالث الإعدادي وذلك بواقع 124 ذكوراً، و155 إناثاً، وطبقت على العينة المقاييس الآتية:

–مقياس الاكتئاب للصغار من إعداد ماريا كوفاكس 1985 ترجمة غريب عبد الفتاح.

– استبيان مسؤولية التحصيل العقلي الذي وضعه كراندال 1965.

– اختبار مركز التحكم عند الأطفال المراهقين، من تصميم كليفورد ليري Clifford Leary 1972 الذي قام مجدي عبد الكريم حبيب بتعريبه وتقنينه.

–مقياس تقدير الذات للصغار والكبار من إعداد كوبر سميث Cooper Smith، ترجمة ليلى عبد الحميد الحافظ.

وقد خلصت نتائج الدراسة إلى أنه توجد فروق دالة إحصائيا بين المكتئبين وغير المكتئبين في متغير وجهة الضبط، فالاكتئاب هو أكثر انتشارا عند أصحاب الضبط الخارجي (نادية الحسيني عبد القادر، 1995، ص 182)، وأصحاب الضبط الخارجي يعتقدون في عدم قدرتهم على التأثير في الأحداث والتحكم في المثيرات الخارجية التي تحيط بهم وتوجيهها وفق ما يشبع حاجاتهم، فنظرتهم نظرة يأس، والاكتئاب لا يعتمد على الاعتقاد بأن هناك نقصاً في السيطرة على الأحداث فحسب، وإنما الاعتقاد بأن الأحداث السلبية سوف تستمر أو تعود مرة أخرى، وتمسك الفرد بهذين النوعين من التوقعات أو الاعتقادات يجعله يشعر باليأس، ويصبح اليأس بالتالي السبب المباشر للاكتئاب[10].

وهذا يعني أن كلاً من الاكتئاب واليأس متلازمان، والرابط بينهما أو العنصر المشترك بينهما هو الوجهة الخارجية، أو الاعتقاد في الضبط الخارجي، وعدم القدرة على إدارة الأحداث والتحكم فيها، وكان من المتوقع أن تتحقق فرضية تمتع عينة العائدين بدرجة عالية على مقياس اليأس بحكم تمتعها بوجهة ضبط خارجية، لكن طبيعة العينة (عينة العائدين) التي هي عينة سيكوباتية، ومن أهم ما يميز السيكوباتي عدم شعوره بالذنب واعتقاده أن فعل الإجرام الذي يقوم به هو فعل

مشروع يعبّر به عن رفضه وتمرده على القيم الاجتماعية التي يحاول من خلالها المجتمع تقييده وتكبيل حريته ومنعه من إشباع حاجاته، ففعل الإجرام، أو السلوك الإجرامي بالنسبة للسيكوباتي هو إشباع لحاجاته، لذلك فالعائدون إلى الجريمة بوصفهم سيكوباتيين فهم لا يعانون من اليأس لأن العود إلى ارتكاب نفس الجريمة أو جرائم مشابهة هو بمنزلة إشباع إضافي لا يجعله يشعر باليأس من التحكم في الأحداث وإدارتها وفق ما يشبع حاجاته، بل يجعله يشعر بأنه تمكن من إشباع هذه الحاجات كما أراد، وبالشكل الذي يرضيه هو (الإشباع المرضي)، عنوة وفوق إرادة مجتمعه، فالأحداث الخارجية في هذا الحال، هي تحت سيطرته وتحكمه.

3. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة: نتوقع وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين وجهة الضبط واليأس.

بينت نتائج البحث أن معامل الارتباط بين وجهة الضبط واليأس هو معامل منخفض 0.28 غير دال إحصائيا، وهو ما يعكس عدم تحقق هذا الفرض، في حين أشار روتر أن الأفراد ذوو الضبط الخارجي يعتقدون أنهم مسيرون تحكمهم الأقدار وتنقصهم الهيمنة على الأحداث التي يتعرضون لها، لذا يصبحون عرضة للاكتئاب والشعور باليأس، وعدم القدرة على التحكم في المواقف المثيرة وإدارتها وفق ما يحقق أهدافهم[11]...

انطلاقا مما أشار إليه روتر، من المتوقع أن يكون معامل الارتباط بين وجهة الضبط واليأس دالا إحصائيا، إلا أن نتائج البحث أثبتت العكس، وهذا لا يدل على التناقض، بل يعود كما قلنا سابقا إلى طبيعة العينة "عينة العائدين"، التي هي من صنف السيكوباتيين، فالوجهة الخارجية بالنسبة للعائدين إلى الجريمة لا تعبّر عن عدم القدرة على التحكم والهيمنة على الأحداث التي تتعرض لها هذه الفئة المنحرفة بقدر ما إنها مجرد تبريرات لأفعالهم الناتجة عن تحديهم للسلطة، وميلهم للتخريب، فالسيكوباتي يبحث دائما عما يبرر به فعله، ولا يشعر بأي تأنيب للضمير، بل إنه لا يحاول وليس له ميل لتعديل سلوكه، فهو يشعر أن سلوكه عبارة عن رد فعل مشروع، وهو السلوك الذي تقتضيه الأحداث ليتمكن من إشباع حاجاته، واستمرار سلوكه الإجرامي يعني بالنسبة إليه إستمرارية الإشباع، فهناك نوع من التعزيز الذاتي الذي يدعم به العائد إلى الجريمة أفعاله وتصرفاته، هذا فيما يخص مفهوم الوجهة الخارجية بالنسبة لعينة البحث "العائدون إلى الجريمة"، أما

فيما يخص العلاقة الارتباطية الموجبة التي من المفترض أن تربطها باليأس، فالإجابة عنها تتطلب منا الإجابة عن السؤال الآتي:

إذا كانت الوجهة الخارجية بالنسبة للعائدين إلى الجريمة هي عبارة عن تبرير لتكرار الجرم والعود إليه، بل هي تدعيم وتعزيز لهذا السلوك، وكل ذلك يساهم في تغييب دور الضمير، ويجعل العائد إلى الجريمة يعتقد في مشروعية أفعاله وسلوكاته، فكيف له أن يشعر باليأس، ففعل العود هو تمرد وخروج عن سيطرة القيم والمحيط ككل، وهو ما يشبع حاجاته في العدوان، وبالتالي يجعله يشعر بالحيوية والرغبة في تكرار الفعل (العود) دون شعور باليأس، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد متعلم في جدوى وفائدة السلوك الإجرامي في تحقيق وإشباع الحاجات (تعلم خاطئ لطريقة الإشباع).

الاستنتاج العام:

من خلال ما تم عرضه ومناقشته من النتائج، تبين لنا أن عينة العائدين إلى الجريمة تمتعت بالخصائص التالية:

-الوجهة الخارجية للضبط.

-الدرجة المنخفضة على مقياس اليأس.

وأثبتت إجراءات الدراسة عدم وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين وجهة الضبط الخارجية لدى المفحوصين، ودرجتهم على مقياس اليأس لبيك، كل هذه النتائج المستخلصة تجعلنا نعتقد أن سلوك العود إلى الجريمة، له عوامله النفسية التي تديره وتتحكم فيه وعلى رأسها، اعتقاد المجرم العائد في الوجهة الخارجية من الضبط، هذا الاعتقاد الذي يتكون جراء التنشئة الاجتماعية الخاطئة، والتي قد تقوم على الضبط والتحكم والسلطة الزائدة التي يمارسها الآباء على الأبناء (التربية المتسلطة)، أو على التدليل المفرط، ومنح الحق والأولوية لجنس دون الآخر؛ وهو السائد في مجتمعاتنا العربية التي نجدها تمارس التسلط والضبط على الفتيات خوفا من العار، وتمنح الأولوية والاهتمام للرجال، وكلا الأسلوبين التربويين يخلقان لدى الفتاة وجهة ضبط خارجية، فالفتاة تبرر جميع سلوكاتها وتصرفاتها، ولا تتحمل مسؤولية أفعالها المنحرفة نظرا لشعورها بالاضطهاد، والفتى يبرر أفعاله وتصرفاته المنحرفة لأنه لم يستدخل صورة الضبط والسلطة الأبوية، وقد يحدث العكس، فبعض الأسر تعامل الفتاة بالتدليل، وتعامل الفتى بالقسوة والتسلط،

وهو ما يعكس المعادلة، فيصبح التدليل سبب الوجهة الخارجية لدى الفتاة، والتسلط سبب الوجهة الخارجية لدى الفتى.

أما فيما يخص عدم شعور العائد إلى الجريمة باليأس، هو تثبيت كذلك لدور العوامل اللاشعورية في السلوك، فالسلوك الإجرامي هو بمنزلة إشباع لحاجات المجرم العائد في الانتقام والتمرد ورفض أسلوب التربية الذي تلقاه في طفولته، فهو ترجمة للخبرة الطفولية السيئة التي تعرض لها الطفل، فالمجرم العائد لا يشعر باليأس، لأن سلوكه الإجرامي يشعره بأنه أدار المواقف الخارجية وفق ما يريد، وبذلك تكون الوجهة الخارجية هي بمنزلة تعزيز ذاتي، يشجع العائد على تكرار أفعاله الإجرامية دون يأس، ولذلك لم تكن هناك علاقة ارتباطية بين الوجهة الخارجية، ودرجة اليأس التي يتمتع بها أفراد عينة البحث، ومن ذلك يمكن القول إن الوجهة الخارجية تختلف في مفهومها باختلاف طبيعة العينة التي يتعامل معها الباحث، وتعديل السلوك متوقف على تعديل هذه الوجهة.

خاتمة:

بناء على ما سبق تناوله في الجانب النظري، وما تم الوصول إليه من خلال إجراءات البحث الميداني من نتائج أثبتنا تمتع العائدين إلى الجريمة بوجهة ضبط خارجية، وعدم تمتعها بدرجة عالية على مقياس اليأس، ولم نجد علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين وجهة الضبط والعودة إلى الجريمة، كل هذه النتائج هي بمنزلة إجابة عن الإشكالية المطروحة التي مضمونها: "علاقة وجهة الضبط باليأس لدى عينة من العائدين إلى الجريمة"، وهي تثبيت لدور، وأثر عاملين من العوامل الشخصية "وجهة الضبط"، "اليأس"، في انتشار ظاهرة العود إلى الجريمة.

فالعائد إلى الجريمة لا يتحمل مسؤولية فعله، ولا يشعر بأنه يتصرف تصرفا شاذا يهدد به كيانه وكيان مجتمعه، كما أنه لا يشعر باليأس من جدوى تصرفاته، فالغاية من تصرفاته هي إدارة الأحداث، والتمرد والسخط على القيم الاجتماعية، لذلك يمكن القول بأن تعديل الوجهة الخارجية لدى العائدين إلى الجريمة من شأنها تعديل اعتقاد العائدين في سلوكاتهم، وفي قيم وضوابط مجتمعهم، فتجعلهم يشعرون بمسؤولية أفعالهم، ويلتزمون بقيم ومبادئ مجتمعهم، فنتمكن بذلك، من التقليص من ظاهرة العود إلى الجريمة.

قائمة المراجع:

1- بشير معمرية، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، منشورات الحبر، الجزائر، الجزء الأول، 2007.

2- بشير معمرية، الفروق والعلاقات في مصدر الضبط والعصابية لدى طلاب الجامعة وفقا لبعض المتغيرات (الجنس، التخصص الدراسي، المستوى الدراسي)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران الجزائر، 1994.

3- جمال السيد تفاحة، أبعاد مصدر الضبط لدى المراهقين الجانحين والأسوياء –دراسة مقارنة– مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة، العدد الواحد والثلاثون، السنة الثامنة، يونيو، أغسطس، سبتمبر 1994.

4- جندي عبد المالك، الموسوعة الجنائية، دار العلم للجميع، بيروت لبنان، الجزء الخامس، ط 2، د سنة.

5- رشاد عبد العزيز موسي، العجز النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة مصر، د ط، 1989.

6- عماد أحمد مخيمر، إدراك الأطفال للأمن النفسي من الوالدين وعلاقته بالقلق واليأس، دراسات نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم)، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، أكتوبر 2003.

7- عبد الله سليمان إبراهيم ومحمد نبيل عبد الحميد، العدوانية وعلاقتها بموضع الضبط وتقدير الذات، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد الثلاثون، أفريل، مايو، يونيو 1994.

8- الفرحاتي السيد محمود، سيكولوجية العجز النفسي (مفاهيم، نظريات، تطبيقات)، المركز القومي للامتحانات والتقويم التربوي، الكتاب الأول، 2005.

9- مايسة أحمد النيال، بعض المتغيرات الوجدانية لدى بعض فئات الاعتماد العقاقيري في ريف مصر وحضرها – دراسة عاملية ومقارنة–، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة الثانية عشر، العدد الثامن والأربعون، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1998.

10- نادية الحسيني عبد القادر، الاكتئاب ووجهة الضبط وتقدير الذات لدى طلاب المرحلة الإعدادية، مجلة الإرشاد النفسي، مركز الإرشاد النفسي بجامعة عين شمس، مصر، السنة الثانية، العدد الرابع، 1995.

الهوامش:

[1]– رشاد عبد العزيز موسي، 1989، ص15.

[2]– بشير معمرية، 2007، ص 162.

[3]–جندي عبد المالك، ص 270.

[4]– عبد الله سليمان إبراهيم، ومحمد نبيل عبد الحميد، 1994، ص 44.

[5]– جمال السيد تفاحة، 1994، ص 183.

[6]– جمال السيد تفاحة، 1994، ص 18.

[7]– بشير معمرية 1994، ص 144.

[8]– مايسة أحمد النيال 1998، ص 79 – 89.

[9]– عبد الله سليمان إبراهيم ومحمد نبيل عبد الحميد، 1994، ص 44.

[10]– الفرحاتي السيد محمود، 2005، ص 191.

[11]– رشاد عبد العزيز موسي، 1989، ص 144.